أنا وفواز... ذكريات جيل جميل

بقلم

محمد بن سليمان بن عبدالله المهنا

@almohannam

تصميم

Tharwat Sultan

00201019530152

بسم الله الرحمن الرحيم

أنا وفواز .. ذكريات جيل جميل

على صفحات "تويتر" المُترَعة بالغث والسمين، والرث والثمين، تألق نجم الشاعر الدكتور فواز اللعبون، وفاح نشره، وازداد عطاؤه، ليملأ صفحته التي يتابعها عشرات الآلاف من هواة الشعر وشُداه الأدب، بالآلافٍ من أبيَّات الأبيات، من مقوله لا من منقوله، ومن إنشائه لا من إنشاده.

عرفه عامَّة الناس بعد أن كان اسمه الكريم يتردد في محافل خاصَّتهم، وصاروا يُهرعون كل مساء إلى صفحته الناضحة بالجمال المُثير، النضَّاخة بالسلسل العذب النمير، لينظروا إلى جديده المُعجِب، وليتمتَّعوا بإبداعه المُطرِب، لا سيما وهو يُصاول أكابر البُزْل، وأشاوس الشعر الجَزْل، كلَّ يوم هو في سِجال، وفي جلاد ماتع وجدال، منازلوه كثير، وهو وحده في الميدان، له الغلبة غالبـًا بل دائمـًا، فتبارك الله أكرم الواهبين.

ساجل فواز جمعـًا من الشعراء أكبرهم وأشهرهم وأمهرهم أستاذنا العالم الجليل الشيخ محمد الفراج، والشاعر المفلِق الأستاذ عيسى جرابا، والشاعر الموهوب الشيخ عبدالله المقحم، كما ساجل

أنا وفواز ... ذكريات جيل جميل

المحبَّ المتطفِّلَ على مأدبة الأدب: محمد المهنا، وساجل غيرهم من الرجال، بل ومن ذوات الخدور وربّات الحِجال.

وفي الليلة القمراء ليلة الجمعة الغراء منتصف شهر رجب أقام أهالي الرياض احتفالهم بولاية خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان سلمه الله، واختاروا شاعرنا **"مُلاعب القوافي"** ابن لعبون ليلقي قصيدة الأهالي، فقام أمام إمامنا سلمان مقام جرير أمام عبدالملك، وأبي تمام أمام المعتصم، والمتنبي أمام سيف الدولة، والشاعر ابن عثيمين أمام الملك عبدالعزيز.

وأنا أنظر إلى فواز وهو يلقي قصيدته طاف بي طائف من الذكريات أعادني إلى مرحلة مبكرة من مراحل شبابي درسْتُ خلالها ست سنين في المعهد العلمي بالرياض.

نعم.. أعادني ذلك الطائف عشرين سنة بل تزيد فأذكرني مراتع الصِّبا ومرابع الشباب، وأذكرني أروقة العلم، وحِلق الذِكر، وميادين الأدب.

لقد كان فوازٌ حينها ملء السمع والبصر لطلاب معهدنا العلمي ومعلميه، وكان المُقدَّم في كل محافل الشعر ومسابقاته، السابق إلى الصدارة رغم تنافس المتنافسين.

سأترك الحديث الآن عن فواز، لأتحدَّث عن الرَّبْع الذي نشأ فيه فواز، والمعهد الذي سُقيت فيه بذرة النبوغ لدى فواز.

كانت المعاهد العلمية "وهي تتبع إلى الآن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية" موئل طلاب العلم ومقصدهم، من لدن طبقة شيوخنا الكبار كابن عثيمين والغديان واللحيدان والفوزان والمفتي، وكوالدي الكريم الشيخ سليمان المهنا رئيس محاكم الرياض إلى طبقات كثيرة تلت وتوالت وكان لكثير من أفرادها أثر حسن في مسيرة بلادنا.

وككثير من أبناء العلماء والقضاة وغيرهم دخلتُ معهد الرياض العلمي "وهو واحد من أربعة معاهد في مدينة الرياض" لأدرس المرحلة المتوسطة والثانوية.

والحق أن مجرد دخول المعهد كافٍ لإحداث التغير لدى الطالب اليافع الذي انتقل من دراسة صفحات معدودة فيها مبادئ التفسير والفقه والحديث في الابتدائية، ليرى أمامه شرح زاد المستقنع في الفقه، وتنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام في الحديث، والإلمام بشرح آيات الأحكام في التفسير، والتعليق المختصر المفيد شرح كتاب التوحيد، ثم ليرى بعد ذلك شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في ثلاثة مجلدات تُدرَس في ثلاث سنوات، وشرح العقيدة الواسطية، وشرح العقيدة الحموية، ومصطلح

الحديث، والأصول من علم الأصول كلاهما للشيخ ابن عثيمين، وعلم الفرائض، والبلاغة والنقد، وعلم العروض، إلى علوم وفنون ربما ذُهلت عن إيرادها كان لها من التأثير أوفر الحظ والنصيب.

في هذه البيئة العلمية الثرَّة الثرية نشأتُ وترعرعتُ، ولم يكن فوازٌ زميلاً لي، بل كان زميلاً لأخي خالد أستاذ السُّنَّة الآن بجامعة الإمام، وكانا بعدي في الدراسة بعام.

كان المعهد العلمي وقتها زاخراً بأفاضل المعلمين من الشرعيين ومن اللغويين، فهذا الشيخ الفقيه سعد بن عبدالرحمن القاسم **"ابن صاحب حاشية الروض"** يُدرّس متن زاد المستقنع.

وذاك الشيخ عبدالرحمن السبيهين رَحِمَهُ ٱللَّهُ يشرح أبواب النكاح والطلاق ويخلط شرحه بكثير من فوائد التاريخ والأدب وبالمختار من الأشعار لا سيما من كتاب الأغاني.

وذاك الشيخ الذكي الأعجوبة عبدالله بن منيف صاحب الفوائد والطرائف والمُلَح.

وذاك الشيخ عبدالله التويجري الذي علّمنا ضوابط المتشابه ومفاتح التدبر.

وسوى ذلك النفر كان الشيخ عبدالعزيز الفنتوخ يشرح لنا ألفية ابن مالك بإتقان عجيب وطريقة فذَّة ممتعة.

وكان الشيخ محمد الفالح يسرد لنا أسماء كتب السيرة ويخبرنا بمناهجها، ثم ينعى لنا في يوم حزين أحد كبار المؤلفين فيها وهو شيخ المحققين الأستاذ عبدالسلام هارون ويخبرنا بمآثره وآثاره.

وكان الشيخ عبدالمحسن العسكر "وهو شاب طرير إذ ذاك" يُحدّثنا في محاضراته بأعاجيب لم نسمع مثلها من قبل كأخبار العلماء، وأسماء الكتب، وذِكر طبقات المحققين، وينقل لنا نصوصاً من كتب متقدمة، كفضل العلم للعسكري، وحُسن المحاضرة للسيوطي، وروح المعاني للألوسي، فنخرج إلى بيوتنا وأهلينا ونحن نظن أننا قد جمعنا العلم من أطرافه!

وفي المعهد مضطَربٌ واسعٌ للتنافس بين أذكياء الطلاب، ولا زلت أتذكر صدى تلك الأصبوحة الشعرية التي عُقدت لثلاثة من طلاب المعهد النابهين، أحدهم **فواز** وثانيهم **علي عربي** وثالثهم أخي **خالد المهنا** الذي ألقى قصيدة مُشجية أثنى عليها مُحَكِّم الأصبوحة الدكتور عبدالرحمن العشماوي ثناءً كثيراً، وكانت قصيدة إخوانية عاطفية من أبياتها قوله لصديقٍ له:

يـا أخـي إن كان عـدلاً بُعدُنـا ... وقضـاءً مـن إلـه الثقليـنْ
فلمـاذا جفـــوةٌ في حقنـــا ... أيـن ذاك الـود والتقديـر أيـنْ؟
وعلامـا وحشـــةٌ عارضـةٌ؟ ... وقَفَـتْ مثـل وقـوف الجبليـنْ
صدَّعـت منـي جـداراً للمُنـى ... أوردت حظـي إلـى خُفِّـي حُنينْ
مـن رآنـا قـال في دهشـته ... يـا إلهـي مـا الـذي صيّـر ذيـنْ!

ولا زلت أتذكَّر الشاب الأعجوبة الثقِف الذي ملأ أرجاء المعهد أدبًا وشعراً وذكراً حسنًا، إنه **محمد بن سعود الحمد** الذي إن كتب أعجب، وإن تحدث أطرب، وإن أنشد أشجى، وإن قرأ القرآن أبكى!

نعم.. لا أزال أتذكر تلاوته أمام شيخنا المقرئ عبدالله التويجري في الحصة المخصصة للحفظ "وكان حافظًا لكتاب الله" لا أزال أتذكر تلاوته لسورة ص بمقامه النجدي الحزين، حتى إذا بلغ قول الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ تَهَدَّجَ صوته وانقطعت تلاوته حتى أعفاه الشيخ من إكمالها، وزملاؤه يستمعون إليه بخشوع وخضوع، وينظرون إليه نظر تقدير وإجلال واحترام.

وعندما يُذكر الخاشعون يُذكر فهد، ذلك الشاب الذي لا تخلو تلاوة من تلاواته في الفصل الدراسي من بكاء عفوي عجيب يزلزل

أركان الزملاء زلزالاً شديداً، بل لقد رأيت أستاذنا الكبير الشيخ عبدالله بن منيف وهو يقلب كفّيه ويفركهما ذهولاً وهو يسمع بكاء هذا الطالب إذ يتلو قول الله تعالى: ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾.

أعود الآن إلى حركة الشعر والأدب في معهد الرياض، فعلى ذلك أَدَرْتُ مقالتي، وأعود إلى أقرب مذكور، وهو أخي وصديقي **محمد بن سعود الحمد** الذي أصبح فيما بعد يُبجَّل بأشرف الألقاب، ويُمنح أعلى جوائز الشعر العربي الفصيح وأوسمته.

أتذكر الآن تلك القصيدة العصماء التي أنشدها في مدح أستاذنا الشيخ عبدالله بن منيف فأنشدها معه كل من كان في المعهد من طالب ومن معلم، حبًا للشيخ الجليل، وإعجابًا بالشاب الذي بهر الألباب.

نعم.. لقد كانت قصيدة عجيبة مُعجِبة، بدأها بالغزل والنسيب، وختمها بمدح الشيخ الحبيب، وجعلها في عشرين بيتًا وسماها: **(المنار المنيف في مدح الشيخ عبدالله المنيف)**، ولحسنها أنقلها كلها لا أستثني منها شيئًا:

هَتفتُ ما لاح نورٌ من محيّاكِ ... إلا وهاج اشتياقًا قلبيَ الشاكي
وما تثنَّى حمامُ الأيكِ من طربٍ ... إلا وجاوبه بالشدو : أهواك
يا ظبيةً جاوزتْ بالحسن شمسَ ضحىً ... رُدّي فؤاداً أسيراً من سباياكِ

يـا فتنـةً لضعيـفٍ رامَ وصـلَ مُنـى ... أبدَتْ صدوداً وإنّي لسـتُ انسـاكِ
يـا غـادةً بسـمتْ عـن ثغـرِ غانيـةٍ ... فلَلصبايـا جميعـًا مـن رعايـاكِ
واهـًا لخـدّ أسـيلٍ أحمـر عطِـرٍ ... كفـاكِ مـا فعلـتْ بالصـبّ عينـاكِ
رفقًـا بمـن كان مقتـولاً بلحْـظ مها ... أقضـي شـهيداً وإني مـن ضحاياكِ
ما غِبتِ عن خاطري أو غبتِ عن خلدي ... وحيثمـا كنـتِ كان القلـب مثـواكِ
سـهرتُ فيكِ أُراعي النجم من أرقٍ ... هل كنتُ يومـًا أناجي النجمَ لولاكِ
وفيكِ لي قد حلا شـرعُ الغـرام لِما ... سعدتُ عند سماعي همسَ نجواكِ
يـا روضَ حسـنٍ بثوب التيـه زاهية ... لَبهجـةُ البـدرِ تخبـو عنـد رؤيـاكِ
ملكـتِ قلـب تقـيٍ ذاب مـن دنفٍ ... يرجـو الإلـه ويأبـى القلـبُ إلاكِ
لم أنصرف لسـواكِ غيـر من بهرت ... علومـه كلَّ ذي لُـب وإدراكِ
أبـو منيـف منـار النجـم شـهرتُهُ ... على عـروش العـلا يزهـو بأفلاكِ
شيخٌ بأسـمى معالي المَجد ممتدَحٌ ... مـا كنـتُ في مدحـه يومـًا بأفّـاكِ
بـه أُشـيقرُ قـد تاهـتْ بـرَبِ حِجى ... علـى الأناسـي مـن عُـرب وأتراكِ
قد فـاق هـذا الـورى بالذِكـر يُقرِئُهُ ... فإنـه نبـعُ علـمٍ طاهـر زاكـي
يـا دُرّة العصر في طيبٍ وحسـنِ ثنا ... وأزهـدَ النـاس في دنيـا وأمـلاكِ
فدمـتَ للمعهـد الميمـونِ دوحتَـهَ ... ودمـتَ للحـق محروسًـا بأمـلاكِ

وفي مديح هذا الشيخ الجليل الشيخ عبدالله بن منيف وذِكر فضائله "لا سيما عند اقتراب تقاعده" تنافس شعراء معهدنا، **وها هو فواز يُدلي بدلوه ويغترف من بحر شعره البِكر أبياتـًا يقول فيها:**

النُّـورُ في القلبِ ليس النورُ في البَصَرِ ... فيـا كفيفـاً بنـورِ الخالِـقِ افْتَخِـرِ
مـا العَيْـبُ لـو عَيـنُ محمـودِ الـرُّؤَى عَمِيَتْ؟ ... إنّ العَمَـى في عَمَـى الآراءِ لا النَّظَرِ
أبـا مُنيـفٍ لَعَـلَّ اللهَ قَـدَّرَ أَنْ ... تَبْقَـى بِـلا بَصَـرٍ في الأَزْمُـنِ الغُبُـرِ
كـي لا تَرَى شُـؤْمَ مـا نَلْقَـاهُ في زَمَنٍ ... أَمْسَتْ بِهِ الأُسْدُ تَخْشَى صَوْلَةَ البَقَرِ
أبـا مُنِيـفٍ نَوَيْـتَ اليـومَ فُرْقَتَنـا ... ونَحْنُ في العُشِّ لَـمْ نَدْرُجْ ولَمْ نَطِرِ
أَعـوامُ عُمْـرِكَ مَـرَّتْ كالسَّـنَا أَلَقـاً ... قَضَيْتَهـا في رُبَـى التعليمِ مِـنْ صِغَرِ
بَذَلْـتَ نَفْسَـكَ في التعليمِ مُلْتَمِسـاً ... أَجْـراً مِـنَ اللهِ لا أَجْـراً مِـنَ البَشَـرِ
واليـومَ تَنْـوي فِراقـاً عـن مَرَابِعِنـا ... ونحـنُ أَدْمُعُنـا تَنْهَـلُّ كالمَطَـرِ...

أما الثناء على معهد الرياض فميدانٌ سباقٍ ركضَ فيه عددٌ من شعرائه من المعلمين ومن الطلاب، وفي ذلك يقول فواز في قصيدة طويلة رائعة أسوق منها آخرها:

يـا معهـداً لـم أَزَلْ مِـنْ بَحْـرِهِ ثمِلاً ... ولـمْ أَزَلْ كـي أَنـالَ المجدَ أَغْشـاهُ
يـا معهـداً عَـزَّ أن يَبْـدو مُشَـابِهُهُ ... وكيـفَ يَبْـدو لهذا الصرحِ أَشـباهُ؟
فَمِـي يُتعْتِـعُ عَجْـزاً حيـنَ أَمْدَحُـهُ ... وَطالمَـا عَجَـزَتْ عَـنْ ذاكَ أَفـواهُ
إذا عَـدَدْتُ مَزَايـاهُ التـي شَـرُفَتْ ... بـكُلِّ خيـرٍ فمـا أُحْصـي مَزايـاهُ
لحَصْرُ ذَرِّ الثَّـرَى في الليلِ أَهْوَنُ مِنْ ... حَصْـرِ المَزايا، فنِعْمَ المجدُ والجاهُ
يَـا أيهـا المعهَـدُ الميمـونُ فُرْقَتنـا ... حانتْ، وَهَذا الذي قدْ كنتُ أَخْشاهُ
أَقسَـى الفِـراقِ فِـراقٌ قَبْلَـهُ وَلَـعٌ ... فَوَيلَتَـا مـن فـراقِ الصحْـبِ وَيلاهُ

يا معهـدي هَـذِهِ الآهـاتُ أُرْسِـلهَا ... يـا ليْتهـا تنفـعُ المحـزونَ أَوَّاهُ
واللهِ إني لَفـي هَـمٍّ وفي حَـزَنٍ ... لمّـا دَنتْ بعـدَ طُوْلِ الوَصْـلِ فُرْقاهُ
كأننـي حيـنَ أَمْضـي عَنـهُ مُبْتعِـداً ... طِفـلٌ يـرَدِّدُ خـوْف البُعْـدِ: أُمـاهُ
هَـذِي الحقيقةُ مثلُ الشـمسِ صافيةٌ ... وأَجْـدَرُ القـولِ بالتصديـقِ أَصْفـاهُ
فيـا إلهِـيَ زِدْني اليـومَ مَقْـدِرَةً ... علَى احتمالِ النوَى، وارْحَمْ ضَحاياهُ

هُنا أُجِمُّ البنان، وأُلجِم القلم، وأُلقي عصا التسيار، بعد رحلة تاريخية طيبة الأيام، عبقة الأنسام، ذكرتُ فيها بعض أخبار معهدنا الميمون، وشيئًا من أشعار طلابه، ولولا خشية الإملال لأفضتُ إفاضة مُحِبٍّ مُتْرَع الوفاض.

اللهم اغفر لمن مات من أشياخنا، وبارك في أحيائهم وفي طلابهم.

اللهم صلّ وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.